معاملــة النبى لليهود والنصارى

دكتور عيد فتحى عبد اللطيف[١]

ملخص البحث

لاشك أن الهجوم على الإسلام في الآونة الأخيرة ، يعتبر امتدادًا لما حدث من قديم الزمان من الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ ، ومن الغريب أنها تعتمد على الأسلوب نفسه في كل شيء ، ومن هنا جاء هذا البحث الذي يتناول معاملة النبى ﷺ مع اليهود والنصارى فى الجزيرة العربية وخارجها ، من خلال القرآن الكريم النبوية والسنة الشريفة والسيرة . ومن المعروف أن النبي ﷺ كان قد تعامل معهم بالحسنى، وأحيانًا أخرى تعامل معهم بالشدة والقوة ، ومن هنا أخذ عليه المستشرقون قسوته في معاملته معهم، وسوف نرد على هذه الادعاءات من خلال هذه الصفحات القصيرة .

الكلمات المفتاحية: النبى ﷺ ، السيرة النبوية ، القرآن الكريم ، اليهود والنصارى ، الجزيرة العربية

Abstract

The relations of the The Prophet (pbuh) within – Muslims (Jews and Christians) There is no doubt that the attack on Islam in recent times is considered an extension of what happened since ancient times of the attack on Islam and the Prophet of Islam ﷺ and it is strange that it relies on the same method in everything, hence this research that deals with This studies investigate the relation between the The Prophet (pbuh) and (Jews and Christians living outside the Arabian Peninsula in the context of thet Holy Quran and, Sunnah and biography of the prophet (pbuh).

Keywords: Holy Quran the Prophet, Biography of the Prophet, Jews and Christians Arabian Peninsula

[١] الأستاذ المساعد في كلية الإلهيات ، جامعة بابيورت – تركيا.

تمهيد

لا شك أن الإسلام جاء هداية للمسلمين، وقانونًا يضبط حياتهم ومجتمعاتهم، ويضبط تعاملاتهم مع غير المسلمين فى مجتمعاتهم أو خارجها، وكان النبي ﷺ خير مَنْ تكاملت أخلاقه فى تعاملاته مع غير المسلمين من كفار قريش، والنصارى، واليهود، ولذلك سوف نرد على ادعات كثيرة قالها المستشرقون على مدى العصور والأيام وحتى الآن ما زال كثير منهم يرددها ، ومع الأسف انضم إليهم كثير من المتنطعين ومدعي العلم والمعرفة ممن ينتسبون زورًا وبهاتًا إلى الإسلام ، وسوف يكون يردنا عليهم ، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة الممتحنة : ٨].

وسوف نعتمد في ردنا هذا على الكتاب الكريم أولاً وقبل كل شيء ، ثم كتب السنة المشرفة ، ثم تأتي كتب التاريخ النبوي الشريف ، وكذلك لا نهمل كتب التاريخ الحديث .

ويأتى البحث فى قسمين :

أولاً : اليهود . ثانيًا : النصارى .

أولاً اليهود :

كانت معظم الآيات القرآنية الكريمة التى ورد فيها ذكر أهل الكتاب تعنى فئة اليهود خاصة، أما النصارى فكانت الآيات الكريمة تذكرهم بالنصارى، وكان القرآن الكريم قد حذر النبى ﷺ من أهل الكتاب فى أكثر من آية كريمة، منها قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة : ١٠٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة : ١٠٩] . وقوله تعالى : ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة آل عمران : ٦٩].

ولهذا ظهر عداء اليهود للنبى ﷺ مبكرًا، وذلك أثناء رحلته مع عمه إلى الشام، فيروى ابن إسحاق وغيره من كتاب السيرة النبوية حديث بحيرى الراهب الذى قال لأبى طالب: ارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ وَاحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ عَرَفُوا مِنْهُ مَا أَعْرِفُ لَتَبْغُنَّهُ عَنَتًا، وَإِنَّهُ كَائِنٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا، وَاعْلَمْ أَنِّي قَدْ أَدَّيْتُ إِلَيْكَ النَّصِيحَةَ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ تِجَارَتِهِمْ خَرَجَ بِهِ سَرِيعًا "(٢).

(٢) فيروى أنه ﷺ كَانَ مَعَ عَمه أبي طَالب فَكَانَ يحنو عَلَيْهِ ويحفظه فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْده يَوْمًا إِذْ قدم مَكَّة رجل عائف من أَزْد شنُوءَة وَكَانَ ذَلِك الرجل إِذا قدم مَكَّة أَتَاهُ رجال قُرَيْش بغلمانهم ينظر إِلَيْهِم ويعتاف لَهُم ويتفرس وَكَانَ ماهرا فِي ذَلِك مَعْرُوفا بِهِ مجربا عَلَيْهِ

وروى أن نفرًا من اليهود قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ ما رآه بحيرى، فأرادوا أن ينالوا منه ، ولكن بحيرى ذكرهم بالله، عز وجل، وبما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم لن يخلصوا إليه بالإيذاء أبدًا، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا(٣).

وكان مشركو مكة لما حاولوا مجادلته ﷺ ومحاورته ، ولم يفلحوا ؛ ولما حال الحسد والحقد بينهم وبين الإيمان به ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ

الْإِصَابَة فِي ذَلِك . فَأَتَاهُ أَبُو طَالب بِهِ وَهُوَ غُلَام قَالَ فَنظر العائف إِلَى رَسُول الله ﷺ ثمَّ شغله عَنهُ شَيْء فَلَمَّا فرغ قَالَ أَيْن الْغُلَام على بِهِ فَلَمَّا رأى أَبُو طَالب حرصه عَلَيْهِ غيبه عَنهُ فَجعل يَقُول وَيْلكُمْ ردوا على الْغُلَام الَّذِي رَأَيْت آنِفا فوَالله لَيَكُونن لَهُ شَأْن . ثمَّ إِن أَبَا طَالب خرج فِي ركب تَاجِرًا إِلَى الشَّام فَلَمَّا تهيَّأ للرحيل ضبث بِهِ رَسُول الله ﷺ فرق لَهُ أَبُو طَالب وَقَالَ وَالله لأخرجن بِهِ معي وَلَا يفارقني وَلَا أفارقه أبدًا وَكَانَ يُحِبهُ حبًّا شَدِيدًا فَخرج بِهِ مَعَه فَلَمَّا نزل الركب بصرى من أَرض الشَّام وَبهَا رَاهِب يُقَال لَهُ بحيرا فِي صومعة لَهُ وَكَانَ إِلَيْهِ علم النَّصْرَانِيَّة ... وتخلف رَسُول الله ﷺ من بَين الْقَوْم لحداثة سنه فِي رحال الْقَوْم تَحت الشَّجَرَة فَلَمَّا نظر بحيرا فِي الْقَوْم لم ير الصّفة الَّتِي يعرف ويجد عِنْده قَالَ يَا معشر قُرَيْش لَا يتخلفن أحد مِنْكُم عَن طَعَامي فَقَالُوا لَهُ يَا بحيرا مَا تخلف عَنْكُم أحد يَنْبَغِي لَهُ أَن يَأْتِيك إِلَّا غُلَام وَهُوَ أحدث الْقَوْم سنا فَتخلف فِي رحالهم قَالَ لَا تَفعلُوا دَعوه فليحضر هَذَا الطَّعَام مَعكُمْ . فجَاء وَقد احتضنه رجل من الْقَوْم فَلَمَّا رَآهُ بحيرا جعل يلحظه لحظا شَدِيدا وَينظر إِلَى أَشْيَاء من جسده قد كَانَ يجدهَا عِنْده من صفته حَتَّى إِذا فرغ الْقَوْم من طعامهم وَتَفَرَّقُوا قَامَ إِلَيْهِ بحيرا وَقَالَ لَهُ يَا غُلَام أسألك بِحَق اللات والعزى أَلا مَا أَخْبَرتنِي عَمَّا أسألك عَنهُ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بحيرا ذَلِك لِأَنَّهُ كَانَ يسمع قومه يحلفُونَ بهما فَقَالَ رَسُول الله ﷺ لَا تَسْأَلنِي باللات والعزى فوَالله مَا أبغضت شَيْئا قطّ بغضهما . فَقَالَ لَهُ بحيرا فبالله أَلا مَا أَخْبَرتنِي عَمَّا أسألك عَنهُ قَالَ لَهُ سل عَمَّا بدا لَك فَجعل يسْأَله عَن أَشْيَاء من حَاله فِي نَومه وهيئته وأموره فَجعل رَسُول الله ﷺ يُخبرهُ فيوافق ذَلِك مَا عِنْد بحيرا من صفته ثمَّ نظر إِلَى ظَهره فَرَأى خَاتم النُّبُوَّة بَين كَتفيهِ على مَوْضِعه من صفته الَّتِي عِنْده وَكَانَ مثل أثر المحجم ثمَّ أقبل على عَمه أبي طَالب فَقَالَ مَا هَذَا الْغُلَام مِنْك قَالَ ابْني قَالَ مَا هُوَ بِابنك وَمَا يَنْبَغِي لهَذَا الْغُلَام أَن يكون أَبوهُ حَيا . قَالَ فَإِنَّهُ ابْن أخي قَالَ مَا فعل أَبوهُ قَالَ مَاتَ وَأمه حُبْلَى بِهِ قَالَ صدقت فَارْجِع بِابْن أَخِيك إِلَى بَلَده وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يهود فوَالله لَئِن رَأَوْهُ وَعرفُوا مِنْهُ مَا عرفت ليبلغنه شرا فَإِنَّهُ كَائِن لِابْنِ أَخِيك هَذَا شَأْن عَظِيم فأسرع بِهِ إِلَى بِلَاده . فَخرج بِهِ عَمه أَبُو طَالب سَرِيعا حَتَّى أقدمه مَكَّة حِين فرغ من تِجَارَته . السيرة النبوية لابن إسحاق ، بدون بيانات : ١ / ١٧ ، بدون بيانات . الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) – المحقق: د. أحمد حجازي السقا – دار التراث العربي – القاهرة : ص ٢٨٧، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى–محمد بن =أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – المحقق: محمد أحمد الحاج – دار القلم– دار الشامية، جدة – السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ٢/ ٤٠٩

(٣) السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م : ١ / ١٨٢

يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ . [سورة الأنعام : ٢٥]

فقد حاولوا الاستعانة باليهود فى جدال النبى ﷺ فيروى أن اليهود قالوا لكفار مكة : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، وكان اليهود يعلمون أن هذه مسألة لا يعلمها أحد ، لكنهم أرادوا الكيد لرسول الله ﷺ ، فلعله يقول في الروح كلامًا يأخذونه عليه ويستخدمونه في صَرْف الناس عن دعوته ، ولكن خَيَّب الله سَعْيهم ، فكانت الإجابة عن السؤال الأول :فى قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا . قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾. [سورة الكهف: ٩ -٢٦] وجاء الجواب عن السؤال الثانى بداية من قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾. [سورة الكهف: ٨٣ – ٩٨] .

وفى قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[سورة الإسراء : ٨٥] فآمن كثير من أهل الكتاب ؛ لأنها طابقت ما قالته كتبهم(٤) .

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بَعَثُوا النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ وَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ فَسَأَلُوا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَوَصَفُوا

(٤) السيرة النبوية لابن إسحاق : ٧٠/١ ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي : تحقيق : عمر عبد السلام السلامي– دار إحياء التراث العربي، بيروت– الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ٥٢/٢ ، الرحيق المختوم الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي) – صفي =الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) – دار العصماء – دمشق – الطبعة: الأول – ١٤٢٧ : ٨٥ تفسير الشعراوى : ١ / ٥٢٩٢ ، تفسير سورة الإسراء ، مطابع أخبار اليوم ، آية رقم : ٨٥ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) المحقق: د. أحمد حجازي السقا – دار التراث العربي – القاهرة : ص ٣٤٤ ، جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – المحقق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م : ١٧/ ٥٩٣ ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – تونس – سنة ١٩٨٤ هـ : ١٥ / ٢٤٣

لَهُمْ أَمَرَهُ بِبَعْضِ قَوْلِهِ فَقَالَتْ لَهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ، سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَمَا كَانَ نبأه، وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ. فَأَقْبَلَ النَّضْرُ وَعُقْبَةُ حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَمَرَنَا أَحْبَارُ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِهَا فَجَاءُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنَا. فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ. فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحْدِثُ اللهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا وَلَمْ يَأْتِهِ جِبْرِيلُ حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا وَالْيَوْمُ خَمْسَ عَشْرَةَ قَدْ أَصْبَحْنَا فِيهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، حَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُكْثُ الْوَحْيِ عَنْهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فِيهَا مُعَاتَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (٥) .

وكان اليهود يتطيرون من هجرة النبى ﷺ إلى المدينة واستقراره فيها وأخذوا ينظرون بعين التوجس إلى احتمال رسوخ قدمه وانتشار دعوته واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه ، وكان ظنهم على ما يبدو أن يجعلهم النبى ﷺ خارج نطاق دعوته ، معتبرين أنفسهم أهدى من أن تشملهم دعوته ، وأمنع من أن يأمل فى دخولهم فى دينه ، وانضوائه تحت رايته ، بل كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمامه إليهم ، وتبجحوا أنهم الأهدى وأصحاب الحظوة عند الله تعالى ، كما ورد فى كثير من الآيات الكريمة(٦) ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ . قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ . أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة : ١٣٥- ١٤١] .

(٥) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – دار الكتب العلمية — بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ : ٢/ ٢٧٠

(٦) اليهود فى القرآن الكريم للدكتور محمد عزة دروزة ، المكتب الإسلامى ، ١٩٦٦م ، ص ٦٠

وقوله تعالى : ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة : ١٣٥] . وقوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة : ١١١] .

وقد تنوعت أساليب النبي ﷺ فى معاملة اليهود والنصارى ، كما يلى :

الأسلوب الأول – الأسلوب الدعوى :

كان رسول الله ﷺ لا يكف عن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، كما كان يحرص على دعوة أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ؛ أما اليهود فلأنهم على دراية عظيمة به وبرسالته ، حتى إنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦] . وكان اليهود يهددون الأوس والخزرج بقرب ظهوره ، لظنهم أنه سيكون منهم ، فلما جاء النبى ﷺ من العرب كفروا به وكذبوه ، وأصروا على كفرهم ، فقال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : من ١٢٠].

ودعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، بناء على أمر الله تعالى له بدعوتهم فى قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] . وقوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [سورة آل عمران : ٧٠] .

وتعجب من محاولة كل من اليهود والنصارى إثبات يهودية إبراهيم – عليه السلام – أو نصرانيته ، وكان اليهود قد ادعوا أن الله تعالى قد اختص بنى إسرائيل دون سائر الأجناس بالولاية والنبوة وأنكروا نبوة النبى لأنه ليس من بنى إسرائيل (٧) ، فردت الآيات القرآنية في قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة آل عمران : ٦٥ – ٦٧] .

(٧) اليهود فى القرآن الكريم للدكتور محمد عزة دروزة ، المكتب الإسلامى ، ١٩٦٦م ، ص ٧٤

كما وبخهم على تدليسهم وكذبهم فقال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران : ٧١ – ٧٢] .

ويسألهم عن سبب كفرهم مع وضوح الحق أمامهم ، وهو يوافق مع بلغهم من قبل من أنبيائهم ، ثم يأمر المسلمين بعدم اتباعهم ؛ إذ أنهم لا يريدون سوى رجوع المؤمنين المسلمين إلى الكفر ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾. [سورة آل عمران : ٩٨ – ١٠٠] .

وبالرغم من حرص النبي ﷺ على هداية اليهود ، فإن قلوبهم قد امتلأت ناحيته بالحقد والكراهية ، ويقوّى ذلك حسدهم وكبرهم ، فيقال عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي [ص:٢٤٠] قَيْنُقَاعٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ، وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَرَى أَنَّا كَقَوْمِكَ، لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَبْتَ فِيهِمْ فِرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنْ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ "(٨).

فقال تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة آل عمران : ١٢ – ١٣] .

---

(٨) السيرة النبوية لابن هشام : ٣١٣/٣ ، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة – دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م : ٥/ ٢٢٩ ، وهنا قال البغوي في ذلك : «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ» ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا أَغْمَارًا لَا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فُرْصَةً، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْنَاكَ لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، يعني اليهود. سَتُغْلَبُونَ: تهزمون في الدنيا في قتالكم محمّدا . وَتُحْشَرُونَ فِي الْآخِرَةِ إِلى جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ الْمِهادُ: الْفِرَاشُ ، أَيْ: بِئْسَ مَا مُهِّدَ لَهُمْ، يَعْنِي: النَّارَ. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي – محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) – المحقق : عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي — بيروت – الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ : ٤١٦/١ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – دار الكتاب العربي — بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ : ٣٤٠/١

ولهذا يدعو الله تعالى نبيه ﷺ ألا يتعجب من سؤالهم له أن ينزل لهم كتابًا من السماء ، فيقول تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة النساء : ١٥٣] .

ويسألهم الله تعالى عن سبب نقمتهم على المسلمين ، ويسخر منهم ويذكرهم بغضبه على آبائهم الذين جعل منهم قردة وخنازير ، فيقول : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ . قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة : ٥٩ – ٦٠] .

ويزيد التحدى عندما يخبرهم تعالى بأنهم ليسوا على شيء فقال : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾. [سورة المائدة : ٦٨] .

ويحاول إقناعهم بخطأ كفرهم وطغيانهم ، ويذكرهم بهلاك الآباء والأجداد ، فيقول تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ . لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. [سورة المائدة : ٧٧ -٧٨] .

وبعد أن حيل بينهم وبين السيطرة الاقتصادية التى كانوا يتربعون على عرشها فى المدينة المنورة وما حولها قبل الإسلام ، وقلت فى أيديهم موارد المال الذى كانوا يجمعونه ؛ ادعوا أن يد الله تعالى مغلولة عن البسط عليهم بالمال فقال تعالى على لسانهم(٩) ورد عليهم فى قوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. [سورة المائدة : ٦٤] .

ومنها مواقف حجاج فيها سوء أدب مع الله – تعالى — ومع رسوله ﷺ وتحد وسخرية وتعجيز (١٠) .

ومنها ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. [سورة آل عمران : ١٨٠] .

ولما كان اليهود يحاجون النبى ﷺ ويقفون موقف الجحود دون أن يخرجوا ولو فى مواجهة على الأقل عن حدود الأدب ؛ رأوا فى أنفسهم الجرأة وتجاوزوا هذا النطاق إلى الهجوم ، وبدأوه بالسخرية والبذاءة ، ولعل هذا

(٩) اليهود فى القرآن والسنة بعض من خلائقهم للدكتور محمد أديب الصالح : ١/ ٤٥ — ٤٦

(١٠) اليهود فى القرآن الكريم للدكتور محمد عزة دروزة ، المكتب الإسلامى ، ١٩٦٦م ، ص ٧٥

كان منهم فى ظرف أزمة من الأزمات التى مرت بالنبى ﷺ والمسلمين كغزوة أحد ؛ حيث اغتنمها اليهود فرصة للشماتة وإظهار ما امتلأت به قلوبهم من غل وحقد ، فكانوا يلوون ألسنتهم بكلمة "راعنا" . كما جاء فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : ١٠٤] ؛وذلك حتى تكون نعتًا للنبى ﷺ بالرعونة ويجهرون بعصيانه فيما يأمر ويدعو إليه ، لذلك قال لهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقوله لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه(١١).

ووصل الجدال ذروته عند تحويل القبلة من بيت المقدس فى فلسطين إلى الكعبة المشرفة فى مكة المكرمة فى قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ . قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾. [سورة البقرة : ١٤٠ – ١٤٥] .

وكان اليهود يزهون (يفتخرون) على النبى ﷺ والمسلمين باتباعهم قبلتهم ، واعتبارهم ذلك اعترافًا منهم بأنهم على الهدى ، وأن النبى ﷺ والمسلمين يقتبسون الهدى منهم ، وبأنهم الأولى بالاتباع لا العكس ، فحز ذلك فى نفس النبى ﷺ والمسلمين ، وانبثقت فى نفسه أمنية التحول عن بيت المقدس ، كما أنه رأى أن اتجاهه إلى قبلتهم مما يضعف قوة دعوته العرب ، وأن عودته إلى قبلته إلى مكة المكرمة مما يؤلف قلوب العرب على الإسلام ، فما كان من اليهود أن نشطوا إلى الدس والحجاج وتشكيك المسلمين فقالوا : إذا كان التوجه إلى بيت المقدس غير حق وصواب ؛ فقد أضاع النبى عبادة الذين صلوا إليه . وإن كان حقًّا وصوابًا فلا معنى للتحول عنه ، وتكون

(١١) الحديث رَوَاهُ الْحَافِظ أَبُو نعيم فِي كِتَابه دَلَائِل النُّبُوَّة أخبرنَا إِبْرَاهِيم بن أَحْمد الْمُقْرِئ ثَنَا أَحْمد بن فَرج ثَنَا أَبُو عمر الدوري ثَنَا مُحَمَّد بن مَرْوَان عَن مُحَمَّد ابْن السَّائِب الْكَلْبِيّ عَن أبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَى لَا تَقولُوا رَاعنا قَالَ رَاعنا بِلِسَان الْيَهُود السب الْقَبِيح وَكَانَت الْيَهُود يَقُولُونَهَا لرَسُول الله ﷺ سرا فَلَمَّا سمعُوا أَصْحَابه أعْلنُوا بهَا وَكَانُوا يَقُولُونَهَا وَيضْحَكُونَ مِنْهَا فَسَمعهَا سعد بن معَاذ مِنْهُم فَقَالَ يَا أَعدَاء الله ... إِلَى آخِره سَوَاء . اليهود فى القرآن الكريم للدكتور محمد عزة دروزة ، ص ٧٦ – ٧٧ ، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ) – المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد – دار ابن خزيمة – الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ : ١/ ٧٨

الصلاة إلى الكعبة ضائعة ، وزعموا أنه لو كانت أفعال النبى ﷺ مستندة إلى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالأمس ، ولما قال اليوم قولاً ثم نقضه فى الغد ، لا سيما فى الأمور التعبدية(١٢) .

الأسلوب الثاني – الأسلوب السياسى :

وكان ﷺ يتعامل مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. [سورة العنكبوت : ٤٦] .

وقوله تعالى :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. [سورة آل عمران : ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. [سورة الممتحنة : ٨ – ٩] .

ويثبت هذا ، أن النبىﷺ قد شرع منذ دخوله المدينة المنورة فى تثبيت دعائم الدولة الإسلامية على قواعد متينة، وأسس راسخة، فكان من أولى خطواته إصدار الوثيقة أو الدستور الإسلامي في المدينة ، الذي ينظم العلاقات بين المسلمين واليهود ومشركي المدينة ، ونص المعاهدة، كما رواها ابن إسحاق: بسم الله الرحمن الرحيم " هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش، وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. أنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم (١٣) يتعاقلون (١٤) بينهم، وهم يفدون عانيهم (١٥) بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الحارث (من الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عمر بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها

(١٢) اليهود فى القرآن الكريم للدكتور محمد عزة دروزة ، ص ٨٣ – ٨٥

(١٣) ربعتهم : أمرهم الذي كانوا عليه.

(١٤) يأخذون ديات القتل ويعطونها. وأصله من العقل وهو ربط إبل الدية لدفعها لاهل القتيل.

(١٥) عانيهم: أسيرهم.

بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا (١٦) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وألا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة (١٧) ظلم، أو إثما، أو عدوانا، أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن. وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والاسوة (١٨)غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم (١٩) . وأن كل غازية غزت معنا يعقب (٢٠) بعضها بعضا. وأن المؤمنين يبيئ (٢١) بعضهم على بعض. بما نال دماءهم في سبيل الله. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن. وأنه من اعتبط (٢٢) مؤمنا قتلا عن بيئة فإنه قود به (٢٣)، إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الاخر، أن ينصر محدثا أو يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل (٢٤). وأنكم مهما اختلفتم فيه من شئ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين (٢٥). وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو أثم، فإنه لا يوتغ (٢٦) إلا نفسه وأهل بيته (٢٧) وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود

(١٦) هو من أثقله الدين والغرم فأزال فرحه.

(١٧) الدسع: الدفع، والمعنى: طلب دفعا على سبيل الظلم أو ابتغى عطية على سبيل الظلم.

(١٨) في هذا ما يفيد أن النصر والمساواة لمن تبع اليهود.

(١٩) يؤخذ من هذا أن إعلان الحرب على جماعة مسلمة إعلان لها على الامة الاسلامية كلها.

(٢٠) أي يكون الغزو بينهم نوبا يعقب بعضهم بعضا فيه.

(٢١) يبيئ: من أبأت القاتل بالقتيل إذا قتلته به.

(٢٢) اعتبطه: قتله بلا جناية أو جريرة توجب قتله.

(٢٣) فإن القاتل يقاد به ويقتل.

(٢٤) فيه منع نصرة المجرم.

(٢٥) فيه استقلال كل أمة المسلمين واليهود كما أنها تضمنت مخالفة عسكرية بمقتضاها تتعاون الامتان في كل حرب وعلى كل منهما نفقة جيشها خاصة.

(٢٦) يوتغ : يهلك ويفسد.

(٢٧) في هذا تقرير الحرية الدينية والاقتصادية.

بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف. إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن جفنة – بطن من ثعلبة – كأنفسهم. وأن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الاثم. وأن موالي ثعلبة كأنفسهم. وأن بطانة يهود كأنفسهم. وأنه لا يخرج منهم أحد ألا بإذن محمد. وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته، إلا من ظلم، وأن له على أبر هذا. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح، والنصيحة، والبر دون الاثم (٢٨) . وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم (٢٩). وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين. وأن يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة. وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها. وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها. وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره. وأنه لا تجار قريش، ولا من نصرها. وأن بينهم النصر على من دهم يثرب. وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين. على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم. وأن يهود الاوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الاثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ (٣٠).

---

(٢٨) في هذا إلزام الطرفين التشاور والتناصح قبل دخول الحرب.

(٢٩) لا بد من أن تكون الحرب مشروعة حتى يمكن للمسلمين المشاركة فيها.

(٣٠) السيرة النبوية لابن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ، ١/ ٥٠٣ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢/٢٧٣ ، الروض الأنف للسهيلي : ٤/ ٢٤٣ ، فقه السنة – سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ) – دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م : ٢/ ٧٠٦ ، الإدارة في عصر الرسول ﷺ أحمد عجاج كرمى – دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ : ص ٢٤٩ ، التحالف السياسي في الإسلام – منير محمد الغضبان – مكتبة المنار الأردن – الزرقاء – الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م : ص ٨٥ ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير – محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) – تعليق: إبراهيم محمد رمضان – دار القلم – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣ : ١/ ٢٢٧ ، حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ : ص ١٥٠

كما قررت هذه الوثيقة حرية الاعتقاد والرأى، وحرمة المدينة والحياة والمال، وحددت أعداء الدولة ، ومنعت إجارة قريش ومن نصرها ، كما نصت المعاهدة على أن يكون ﷺ قائدًا على سكان المدينة المنورة كافة ، وإليه يرجع الأمر كله،كما نصت على تعاون أهل المدينة في رد كل اعتداء عليها ، ولا يجوز لأحدٍ من أهل المدينة أن يجير مالاً لقريش، أو نفسًا، وأن يعاون اليهود المؤمنين في النفقة عليهم ما داموا محاربين(٣١).

الأسلوب الثالث : الأسلوب العسكرى :

ظهر العداء مبكرًا ، بين اليهود والمسلمين ، من خلال محاولتهم قتل النبى ﷺ أو مساعدة المشركين فى القضاء على المسلمين فى المدينة ، ومن ذلك :

وفى سنة (٤هـ = ٦٢٦م) حاول بنو النضير الغدر به ﷺ عندما خرج إليهم يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر ، فصعد أحدهم ليلقي عليه صخرة من فوق المنزل الذى يجلس بجواره ، فنزل إليه الخبر من السماء فقام راجعًا إلى المدينة ، وأمر بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ، فحاصرهم ست ليال ، فتحصنوا منه في الحصون فأمر ﷺ بقطع النخيل والتحريق[٣٢]. وبالرغم من محاولة عبدالله ابن سلول تثبيت بني النضير على القتال ، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب وسألوا النبى ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ، فخرج بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام ، وتركوا كثيرًا من الأموال ؛ فقسمها النبى بين أصحابه ، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾(٣٣). [سورة الحشر : ٢] .

ولولا أن قضى الله عليهم بالخروج والجلاء من الوطن على هذا النحو، لعذّبهم في الدنيا بالقتل والسّبي، كما فعل ببني قريظة سنة خمس للهجرة، بعد غزوة الخندق، وكما فعل بالمشركين يوم بدر في السنة الثانية، وبيهود بني قينقاع وإجلائهم عن المدينة عقب معركة بدر الكبرى، ولهم في القيامة عذاب شديد في نار جهنم ، فحاصرهم ست ليال، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فطلبوا الصّلح على الجلاء وتحميل الإبل أموالهم إلا السّلاح. وإنما فعل الله بهم ذلك وهو الطرد والإجلاء، وتسليط المؤمنين عليهم، لأنهم عادوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزل الله على رسله

(٣١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك بن محمد بريك : ص ٧٤

(٣٢) ويستهدف من هذا منع وصول الأطعمة والمواد الضرورية إلى العدو، وتجميد إمكانياته ، كما يؤدي هذا إلى الجوع والحرمان والضعف الاقتصادى . انظر أساليب الحرب النفسية فى الإسلام وخصائصها ، دكتور علي عيسى عبد الرحمن ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية (السُّودان). العدد ١٤ ، سنة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م ، ص ٧٠

(٣٣) السيرة النبوية لابن هشام : ١٣٤/٤ – ١٤٦

المتقدمين، من البشارة بمحمد ﷺ ، علما بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. ومن يعادي الله ورسوله ﷺ بعدم الطاعة، ويتواطأ مع المشركين، وينقض العهد أو ميثاق الصحيفة على الأمن والسّلام والتعايش الديني والاجتماعي، والاقتصادي، فإن الله يعاقبه أشد العقاب، ويعذبه في الدنيا والآخرة. وفي أثناء الحصار: أمر النّبي ﷺ بقطع نخل بني النضير وإحراقه، حتى لا يبقى لهم تعلّق بأموالهم وأمل بالعودة، ونادوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيب من يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟! فنزل قوله تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها.. أي إن ما قمتم به من قطع النخيل وإحراقه، أو تركه قائما دون قطع، فهو بأمر الله ومشيئته، وقد أذن بذلك، لإعزاز المؤمنين، وإذلال الرافضين للطاعة، وهم اليهود، ولإخزاء الفاسقين، أي الخارجين عن الحدود، الجاحدين بما أنزل الله تعالى على رسله(٣٤).

أما يهود بنى قينقاع فلم يكتفوا بكراهيته ، بل كانوا من أوائل اليهود الذين نقضوا ما بينهم وبينه ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد ؛ وذلك أن امرأة مسلمة جلست بسوق بنى قينقاع إلى صائغ يهودى ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت فضحكوا . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فقتل اليهود المسلم ، فحاصرهم النبى ﷺ خمس عشرة ليلة ، فمشى عبد الله ابن أبى بن سلول إليه ﷺ فكلمه فى أمرهم ، فعفى عنهم(٣٥).

وفي شهر (شوال ٥هـ= مارس٦٢٧م) تجمعت أكبر قوة معادية للمسلمين للقضاء عليهم داخل المدينة وهى غزوة الأحزاب ، وأحاطت بها جيوش مشركي قريش ، وأشجع وغطفان وبني سليم وأسد وفزارة في عشرة آلاف مقاتل ، وبناء على المعاهدة المبرمة بين المسلمين واليهود ،كان من المتوقع أن ينضم يهود بني قريظة إلى المسلمين ضد القوات الغازية ، لكنهم لم يرعوا للجوار حقًّا، ولا للعهود حرمة، بانضمامهم إلى قريش ، فأرسل رسول الله ﷺ بعض أصحابه ليذكروا اليهود بما بينهم وبين المسلمين من عقود ، ولكن دون جدوى ، وأصاب المسلمين مشقة كبيرة بسبب خيانة اليهود لهم كما فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا ﴾.[سورة الأحزاب : ٩ -١٢] .

---

(٣٤) التفسير الوسيط للزحيلي – وهبة بن مصطفى الزحيلي – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ : ٣/ ٢٦٣ ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) – المحقق: محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م : ٨ / ١١٢

(٣٥) السيرة النبوية لابن هشام : ٣/٣١٤ – ٣١٦

وبعد أن ولى المشركون وحلفاؤهم الأدبار، كما قال تعالى : ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[سورة الأحزاب : ٢٥] نادى ﷺ.. «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»(٣٦).

وروي عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ (٣٧).

فسار النبى ﷺ بالمسلمين وتوجه إليهم ، وحاصرهم شهرًا ، فلما طال الحصار عليهم ، قذف الله فى قلوبهم الرعب ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.[سورة الأحزاب : ٢٦ – ٢٧] .

وقال تعالى أيضًا : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ . [سورة الحشر : ٢ – ٣] .

ولما نزلوا على أمر الله ورسوله ﷺ قبلوا بحكم سعد بن معاذ ، الذى حكم بأن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال، فقال ﷺ: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات"(٣٨).

وهنا يحلو لبعض المتقولين والمتطاولين والمتنطعين أن يتطاولوا على الإسلام وعلى المسلمين وعلى معاملة النبي ﷺ لبني قريظة، ويعتبروا ذلك قسوة ووحشية ، مع غير المسلمين ممن وقع تحت أيدي المسلمين ، وقد تناسى هؤلاء المتطاولين – أو أنهم تناسوا وهم يعلمون مدى كذبهم وتلفيقهم – أن اليهود لم يُقْدِموا على هذا العمل إلا

(٣٦) صحيح البخارى :١٥/٢ ، رقم ٩٤٦، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء ، وصحيح مسلم :١٣٩١/٣ ، رقم ١٧٧٠، وصحيح ابن حبان : ٣٢٠/٤ ، رقم ١٤٦٢، السيرة النبوية لابن هشام : ١٩٤/٤، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي : ١٩/٥

(٣٧) صحيح البخارى :١٥/٢ ، رقم ٩٤٦، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء ، وصحيح مسلم :١٣٩١/٣ ، رقم ١٧٧٠، وصحيح ابن حبان : ٣٢٠/٤ ، رقم ١٤٦٢، السيرة النبوية لابن هشام : ١٩٤/٤، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي : ١٩/٥

(٣٨) ابن القيم : زاد المعاد ١١٧/٣، وابن سيد الناس : عيون الأثر ٢/ ٥٤، السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٠/٢ ، ومسند ابن أبى شيبة ٣٨٠/٧ ، رقم ٣٦٨٣١ ، صحيح البخارى : ٦٧/٤ ، رقم : ٣٠٤٣ ، باب إذا نزل العدو على حكم رجل.

بعد أن تأكدوا أنهم بمساعدة المشركين سيدمرون الكيان الإسلامي تدميرًا كاملاً(٣٩)، كما نسوا أن حكم سعد جاء وفق الشريعة اليهودية ، كما نسوا أن بنى قريظة لم يلاقوا من المسلمين إلا كل بر ووفاء، ومعاملة حسنة، كما شهدوا أنفسهم بذلك ، عندما ذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد القرظي زعيم قريظة يغريه بنقض العهد فقال: " وَيْحَك يَا حُيَيّ !! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمّدٍ إلّا صِدْقًا وَوَفَاءً "(٤٠). لكنه لم يزل به حتى أقنعه بنقض العهد.

ولم يعامل النبي ﷺ بني قريظة كما يعامل القائد المنتصر جيش العدو المنهزم أو المستسلم، أو عاملهم كما عامل يهود بني النضير وبني قينقاع ؛ لأن بني قريظة لم يكونوا أسرى حرب حتى يشفق بهم ، ولم يكونوا في حالة حرب مع المسلمين، وإنما كانوا جيرانًا متحالفين مع المسلمين فى وحدة تلزمهم بالدفاع المشترك ، وكانوا أخطر من الأعداء، وكانوا كالخائن المتآمر مع العدو على وطنه ، كما أن موقفهم يختلف عن موقف بني قينقاع الذين أبدوا البغضاء وأشاعوا الشكوك ، وبنى النضير الذين تآمروا على قتله ﷺ ، دون أن يتاح لهم فرصة التنفيذ، فهؤلاء وأولئك أهون من الذين وقفوا في صفوف العدو وأوقعوا الهلع في قلوب المسلمين(٤١).

وإذا عزم المسلمون على قتل الأسارى، فلا ينبغي أن يعذبوهم بالجوع والعطش وغير ذلك من أنواع التعذيب؛ لأن ذلك تعذيب من غير فائدة وقد روي أن رسول الله ، لما رأى الرسول ﷺ أسرى بني قريظة ، وقد وقفوا تحت الشمس ، نالتهم رحمته ، إذ قال: " «لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، وَحَرَّ السِّلَاحِ، وَلَا تُمَثِّلُوا بِهِمْ؛»»(٤٢). وقال – عليه الصلاة والسلام – في وصايا الأمراء «ولا تمثلوا ولا ينبغي للرجل أن يقتل أسير صاحبه» ؛ لأنه له ضرب اختصاص به حيث أخذه وأسره، فلم يكن لغيره أن يتصرف فيه(٤٣).

ولما اطمأن ﷺ إلى قريش بعد صلح الحديبية ، أراد أن يحاسب يهود خيبر وقبائل نجد على خياناتهم المتكررة ؛ لأن خيبر كانت وكر الدسائس والتآمر ، وإثارة الحروب، فأهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ، وشجعوا بني قريظة على الغدر والخيانة، واتصلوا بالمنافقين في المدينة وبغطفان وأعراب البادية، كما كانوا يتهيأون

(٣٩) جمعة علي الخولي: معاملة الرسول لبني قريظة، والرد على ما يثار حولها من شبهات، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد ٥٧

(٤٠) الروض الأنف ٣/ ٤٢٢، ابن سيد الناس ٢/ ٣٨، وابن كثير : البداية والنهاية ١٠٣/٤

(٤١) جمعة علي الخولي: مرجع سابق .

(٤٢) مغازي الواقدي : ص٥١٤ ، فيض القدير: ٤ / ٥٣٤ ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي : ١١٣ / ٢٣

(٤٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع – علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني – دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م : ٧/ ١٢٠ ، شرح السير الكبير ٣ / ١٠٢٩ مطبعة مصر ١٩٦٠ م. الموسوعة الفقهية الكويتية : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت : ٤/ ١٩٨

للقتال، حتى إنهم وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ فوضعوا المسلمين في محن متعددة، وإزاء ذلك اضطر المسلمون إلى بعوث متواصلة(٤٤) وإلى خروجه ﷺ في المحرم سنة (٧هـ = ٦٢٩م) ، لغزو خيبر، ومحاربتهم . وبالرغم من ذلك ، فإنه عندما أعطى الراية لعلي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال : "انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"(٤٥).

وكان رسول الله ﷺ قد خرج مع أصحابه بروح إيمانية عالية، مخلصين لله موقنين بالنصر، مستبشرين بالغنيمة التي وعدهم الله إياها وهم في طريق عودتهم من الحديبية، في قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الفتح : ٢٠] .

ولم يسمح النبي ﷺ للمنافقين وضعفاء الإيمان الذين تخلفوا في الحديبية بالخروج معه، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة أو الحديبية ، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[سورة الفتح : ٧-٩] ، يعني مغانم خيبر لأنه تعالى ، وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة (٤٦) .

ثم صالحهم ﷺ أن على حقن دماء المقاتلة، ثم يخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ، ويتركوا المال والأرض ، ثم رأى النبي ﷺ أن يعطيهم خيبر ولهم الشطر من كل زرع، ومن كل ثمر، ما بدا له ﷺ أن يقرهم(٤٧).

وكان رسول الله ﷺ لما وصل إلى خيبر، قد بعث مُحَيِّصَة بن مسعود إلى يهود فَدَك ، ليدعوهم إلى الإسلام، فأبطأوا عليه، فلما فتح الله خيبر وقذف في قلوبهم الرعب ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك بمثل ما عامل عليه أهل خيبر، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك له ﷺ (٤٨)؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[سورة الحشر : ٦ -٧] .

---

(٤٤) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري : ٣٤٢

(٤٥) صحيح البخارى : باب مناقب على بن أبى طالب ، ١٣٥٧/٣ ، رقم : ٣٤٩٨ ، صحيح مسلم : كتاب ٣٤ ، باب فضل على بن أبى طالب ، ١٨٨٢/٤ رقم : ٢٤٠٦ ، الرحيق المختوم للمباركفوري :ص ٣٣٥

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٩٥٢م، ١٦/ ٣٧٠.

(٤٧) السيرة النبوية لابن هشام : ٣٢٢/٤ ، الروض الأنف للسهيلى : ٩٤/٤ ، الرحيق المختوم للمباركفوري : ٣٤٢ – ٣٤٤

(٤٨) الروض الأنف للسهيلى : ٩٤/٤ ، الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري : ٣٤٩

وتوجه ﷺ إلى وادي القري بعد أن فرغ من خيبر ، وكان بها جماعة من اليهود، وجماعة من العرب ، فلما نزلوا استقبلهم اليهود بالرمي، فعَبَّأ أصحابه للقتال، وصَفَّهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا، وأخذوا كلما برز منهم رجل ، برز إليه الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب ، حتى قتلا منهم أحد عشر رجلاً، وكلما قتل منهم رجل دعا من بقي إلى الإسلام ، وكان كلما صلى بأصحابه، دعاهم إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى فتحها عنوة، وغَنَّمَهُ اللهُ أموالهم، وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا ، فأقام ﷺ بوادي القري أربعة أيام ، قسم خلالها الأموال على أصحابه ، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود، وعاملهم عليها كما عامل أهل خيبر(٤٩).

ولما بلغ يهود تيماء خبر استسلام أهل خيبر وفَدَك ووادي القُرَي، بعثوا يعرضون الصلح، فقبل ﷺ ذلك ، وتركهم بأموالهم ، وكتب لهم كتابًا : "هذا كتاب محمد رسول الله لبني عاديا ، أن لهم الذمة ، وعليهم الجزية ، ولا عداء ولا جلاء"(٥٠).

ومع ذلك لم ينههم الله عن التعامل معهم فقال تعالى:"لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ" [الممتحنة، ٨-٩]، تُضاف هذه الآية بجانب آية سورة النِّساء، لترسما معا دستورًا إسلاميّا في معاملة غير المسلمين، فقد سبقتِ الآية وسمتْ على كُلِّ القوانين الوضعيَّةِ الحديثة للدُّوَلِ والمنظّمات الإقليميَّة والعالميَّة، متجاوزةً أيّ تمييزٍ في المعاملة على أيّ تصنيفٍ كان، فالله عزّوجلّ لا ينهى المقاتلين المسلمين عنِ الذين لم يقاتلوهم في الدِّين، من جميع أصناف الملل والأديان أن يَبَرُّوهم ويَصِلُوهم، ويُقْسِطُوا إليهم، يقول الطّبريُّ: "إنّ برَّ المؤمنِ من أهل الحرب مِمَّن بينه وبينه قرابةُ نسبٍ، أو مِمَّن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير مُحرَّمٍ ولا منهيٍّ عنه"(٥١)، ويستخلص الشّيخ ابن عاشور منَ الآية"جواز معاملة أهل الذِّمَّةِ بالإحسان وجواز الاحتفاء بأعيانهم"(٥٢)، ثمّ ينفي الله هذا البرَّ في المعاملة مع من يرفع السِّلاح في وجه المسلمين أو من يُعينُ عليهم ويَكيد لهم، فهؤلاء أعداء الله وأعداؤهم، لا تجب على المسلمين موالاتُهم بالقول ولا بالفعل، ولا بالمودّة ولا بالنّصر، ومَنْ يتولاهم فهم الظّالمون لأنفسهم ولإخوانهم.

كما حدد الله تعالى كيفيّة معاملة المسَالِمِينَ من المشركين أثناء القتال، الأولى في قوله تعالى:"فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ

(٤٩) السيرة النبوية لابن هشام : ٣١٠/٤ ، والروض الأنف : ٨٥/٤ ، الرحيق المختوم للمباركفوري : ٣٥٠

(٥٠) دلائل النبوة للبيهقي : ٣٦٦/٤ ، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري : ٣٥١

(٥١) الطبري، جامع البيان، ج٢٨، ص٦٦

(٥٢) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج٢٩، ص١٥٢

حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِينا"[النّساء، ٩٠-٩١] ، فمن اعتزل المقاتلين المسلمين في حالة المواجهة في الحرب، بانفراده عن قومه، أو بتركه للسِّلاح، أو بطلبه للمهادنة، وأعلن تسليمه وانقياده ونزوله على رأي المقاتلين المؤمنين، وجب له الأمانُ، واستحقّ السَّلام، فقد أصبح في كَنف الله بحكم الله"فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً"، فلا حقّ لأحدٍ في إيذائه، وإلحاق الضُّرِّ به تحت أيّ تبرير، وهذا من عظمة العدالة في الإسلام، فالأرواح لا تُراق بالأهواء، والحقوق لا تُستباح بالعداوة والبغضاء، وإنَّما هناك دستورٌ قرآنيٌّ نظّم كُلَّ شيءٍ، وما علينا إلا فهم ذلك وحُسنِ اتّباعه، ومَنْ أعلنَ العداوةَ وتعرّضَ للمسلمين فقد استحقَّ القتالَ"فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ"، هذا جزاءُ مَن رفض السَّلام، وتعرّض للمسلمين بالقتال باليد، والإيذاء باللِّسان، فهؤلاء هم الذّين جعل الله للمسلمين عليهم السُّلطان المبين(٥٣).

ثانيًا : النصارى :

وكان النصارى فى ذلك الوقت ينقسمون إلى قسمين : نصارى الروم . ونصارى الجزيرة العربية .

أولاً : الروم :

لما كان الروم من أهل كتاب ، حيث كانوا من النصارى ، فقد فرح المسلمون فرحًا شديدًا بنزول قوله تعالى : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. [سورة الروم : ١ – ٤]

وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس علي الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم علي فارس؛ لأنهم كانوا من أهل الكتاب، فذكر ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ ، فقال ﷺ: أما إنهم سيغلبون . فذكره أبو بكر للمشركين, فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: ألَّا جعلتها إلى دون العشر؟ . ثم ظهرت

(٥٣) يقول ابن عطيّة:"وتامّل فصاحة الكلام في أن ساقه في الصِّيغة المتقدِّمة قبل هذه سياق إيجاب الاعتزال، وإيجاب إلقاء السَّلم ونفي المقاتلة، إذا كانوا مُحقِّين في ذلك مُعتقدين له، وسياقه في هذه الصِّيغة المتأخّرة سياق نفي الاعتزال، ونفي إلقاء السَّلم؛ إذا كانوا مبطلين فيه مُخادعين، والحكم سواء على السِّياقين؛لأنَّ الذّين لم يجعل عليهم سبيلا لولم يعتزلوا، لكان حكمهم حكم هؤلاء الذين جعل عليهم السُّلطان المبين، وكذلك هؤلاء الذين عليهم السُّلطان إذا لم يعتزلوا، لو اعتزلوا كان حكمهم حكم الذين لا سبيل عليهم، ولكنَّهم بهذه العبارة تحت القتل إن لم يعتزلوا"أبو حيان، البحر المحيط : ٣ / ٣٣٢ ، التصوير البياني في آيات القتال – دراسة فنية ، عبد الكريم أمين محمد سليمان – جامعة شرناق – كلية الإلهيات – العدد ١١ – السنة ٢٤ – سنة ٢٠٢٠ م : ص ٣١ – ٣٣ .

الروم بعد. وأضاف ابن كثير عدة روايات أخري للحديث ثم زاد قوله :... وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال لهم بنو الأصفر، وكانوا علي دين اليونان: واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السيارة، وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها، فكان الروم علي دينهم إلي بعد مبعث المسيح –عليه السلام– بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له قيصر: فكان أول من دخل في دين النصاري من الروم قسطنطين: وأمه مريم الهيلانية من أرض حران وكانت قد تنصرت قبله فدعته إلي دينها... واستمروا علي النصرانية، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتي كان آخرهم هرقل... فناوأه كسري ملك الفرس، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر، وكانوا مجوسًا يعبدون النار، وبعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه، والمشهور أن كسري غزاه بنفسه في بلاده فقهره، وكسره وقصره حتي لم يبق معه سوي مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتي ضاقت عليه، ولم يقدر كسري علي فتح البلدة، ولا أمكنه ذلك لحصانتها، لأن نصفها من ناحية البر، ونصفها الآخر من ناحية البحر، فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هناك، ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع، فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلي التسع (٥٤).

ومع بداية العام السابع من الهجرة ، ساد شبه الجزيرة العربية جو من الهدوء النسبى، فبدأ النبى ﷺ فى تبليغ دعوته وتوجيهها إلى أكبر عدد ممكن من ملوك العالم ورؤسائه وأمرائه، فأعد عددًا من أصحابه ، ليكونوا سفراء بينه وبينهم وحملهم رسائله إليهم، فأرسل عبدالله بن حُذافة السهمى برسالة إلى كِسرى أبرويز الثانى ملك الفرس، ودِحْيَة بن خَلِيفَةَ الكَلبِي إلى هِرَقْل الروم .

أما معظم الملوك والأمراء الذين وصلتهم رسائل النبى ﷺ ، فكان أكثرهم من العرب فى اليمن وشرقى شبه الجزيرة والخليج ، وكانت ردودهم إيجابية وأعلنوا إسلامهم، فأبقاهم على إماراتهم، وأرسل إلى كل إمارة معلمين يفقهونهم فى الدين .

أما المقوقس حاكم مصر فلم يسلم ولكنه رد ردًّا مهذبًا، مصحوبًا بكثير من الهدايا، مع جاريتين، هما مارية القبطية التى أعتقها النبى ﷺ وتزوجها ، وأختها سيرين التى أهداها لحسان بن ثابت. وأما النجاشى ملك

(٥٤) تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقق: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون — بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٩ هـ – تفسير سورة الروم : ١ — ٤ ، ٦/ ٣٠٣ ، ٢٧٣ ، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر– الأستاذ الدكتور مأمون حموش– المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش – الناشر: (المؤلف) – الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م : ٦/ ٢١

الحبشة، فقد استقبل مبعوث النبى ﷺ استقبالًا حسنًا، ورد عليه برسالة مهذبة، أعلن فيها إسلامه ، فلما تُوفى النجاشى، صلى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب .

وتعد هذه الرسائل نقطة تحول فى تاريخ الإسلام من ناحية، ونقطة البداية فى علاقات الإسلام بالعالم الخارجى من ناحية أخرى، فعلى أساسها وعلى ضوء ردود الأفعال عند من أرسلت إليهم من الملوك تشكلت علاقات المسلمين مع الأمم الأخرى فى حالتى الحرب والسلام.

أما هِرَقل الروم فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه رد على رسالة النبى ﷺ ردًّا مهذبًا بل إنه مال إلى الإسلام، ولكن الروم لم يطاوعوه، فاعتذر للنبى ﷺ عن عدم قبول الإسلام بسبب رفضهم ، كما أن تطور العلاقات بين المسلمين والروم فى أواخر حياة النبى ﷺ ، وفى عهد خلفائه الراشدين ، يجعلنا نميل إلى أنه لم يرد؛ لأن هرقل عندما وصلته رسالة النبى ﷺ كان عائدًا من حرب الفرس، وقد انتصر عليهم ، ويبدو أنه كان معتدًّا بنفسه ، مزهوا بما حققه من انتصار رد به اعتبار دولته أمام الفرس ، فلما جاءت رسالة النبى ﷺ إليه لم يحفل بها ولم يقدرها كما يجب .

ويؤكد ذلك الرأى أن تطور الخلاف بين المسلمين والروم تصاعد إلى الصدام المسلح، فاعتدى الروم على المسلمين فى غزوة مؤتة سنة (٨هـ = ٦٣٠م)، ثم حاولوا الاعتداء مرة أخرى سنة (٩هـ= ٦٣١م) ، مما جعل النبى ﷺ يخرج إليهم فى غزوة تبوك، ثم دارت الحرب بين المسلمين والروم؛ لأنهم حرضوا القبائل فى حركة الردة وساعدوها، ونجح المسلمون فى فتح الشام ومصر وطردوا الروم منها ، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يلوم المسلمين؛ لأنهم حملوا السلاح دفاعًا عن أنفسهم ضد العدوان المتكرر للروم(٥٥).

وكانت كبرياء دولة الروم قد جعلتها تأبى حق الحياة على من آمن بالله ورسوله ﷺ ، وحملها على أن تقتل من أتباعها من يدخل في الإسلام، كما فعلت بفَرْوَة بن عمرو الجُذَامِي، الذي كان واليًا على مَعَان من قبل

(٥٥) ونحن نعلم أن الله تعالى أمرنا وأوصانا أن نقابل بالمثل ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، ولكن على أن لا نتجاوز الحد فيما نفعل ، وهذا معلوم من قوله تعالى: "فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ"، فالآية تشير إلى أنّ الإنسان إذا لم يستطع أن يزنَ ردَّ الاعتداء بميزان دقيقٍ حتّى لا يتجاوز الظّلم الواقع عليه، فيقع هو في العدوان والاتّصاف بالظُّلم، لذا فمن الأولى له أن يغفرَ، ومن هنا كانتِ المغفرة أقرب إلى العدل فألحقت بالطِّباق : التصوير البياني في آيات القتال – دراسة فنية ، عبد الكريم أمين محمد سليمان – جامعة شرناق –كلية الإلهيات – العدد ١١ – السنة ٢٤ – سنة ٢٠٢٠ م : ص ٣٢ – ٣٣ .

الروم . ونظرًا إلى هذه الغطرسة، أخذ ﷺ يجهز جيشًا كبيرًا سنة (١١هـ = ٦٣٢م) ، وأمَّرَ عليه أسامة بن زيد ، وأمره أن يوطئ الخيل بلاد الشام، لإرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب(٥٦).

وهذه المعركة وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، الذي عانوا مرارتها لأجله، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إنها ألقت العرب كلها في الدهشة والحيرة، فقد كانت الرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أن معنى جلادها هو القضاء على النفس وطلب الحتف بالظلف، فكان لقاء هذا الجيش الصغير– ثلاثة آلاف مقاتل– مع ذلك الجيش الضخم الكبير– مائتا ألف مقاتل– ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة تذكر، كان كل ذلك من عجائب الدهر، وكان يؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير ما ألفته العرب وعرفته، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم رسول الله حقا، ولذلك نرى القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليم وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها. فكانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامي مع الرومان، فكانت توطئة وتمهيدًا لفتوح البلدان الرومانية، وسقوطها فى أيدى المسلمين(٥٧).

ثانيًا : نصارى الجزيرة العربية :

بالرغم من أن النبى ﷺ كان يعلم أن اليهود والنصارى لن يؤمنوا به ، لقوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة : ١٢١]؛ فإنه كان يدعوهم إلى الإسلام ؛ لأنهم من أهل الكتاب وقد آمنوا بأنبياء الله السابقين ، وقرأوا كتبهم ، لهذا كان يرغب دائمًا فى دعوتهم إلى الحق .

وقد ذكر كُتاب السيرة والتاريخ أن وفودًا من نصارى نجران قدموا على النبى ﷺ وجادلوه وناظروه فى أمر المسيح عليه السلام وأولهيته ، فيروى أنه قدم على النبى ﷺ وهو بمكة عشرون رجلًا من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فجلسوا إليه وكلموه ، ورجال من قريش حول الكعبة ، فلما فرغوا من سؤال رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا – لله وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان في كتابهم من أمره ، فقال لهم أبو جهل ونفر من قريش: خيبكم الله مِنْ رَكْبٍ بعثكم مَنْ وراءكم مِنْ أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبًا أحمق منكم. فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما

(٥٦) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد : ٣٦١/١١ ، والرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) – دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) – الطبعة الأولى : ص ٤٥٦ ، ، فقه السيرة – الشيخ محمد الغزالي (المتوفى: ١٤١٦هـ) – دار القلم – دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ : ص ٤٥٧

(٥٧) الرحيق المختوم: ص ٢٦٠

أنتم عليه فنزل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ . أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾. [سورة القصص : ٥٢-٥٥] .

وفى سنة (٩هـ = ٦٣١م) ، وفد نصارى نجران إلى النبى ﷺ ، وفيهم الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تفعل فو الله لئن كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّاهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ» فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هذا أمين هذه الأمة» (٥٨).

وروي أنّه ﷺ لمَّا دعا أسقف نجران والعاقب إلى الإسلام قالوا : قد كنّا مسلمين قبلك ، فقال : كذبتما منع الإسلام منكما ثلاث : قولكما : اتّخذ الله ولدًا، وسجودكما للصّليب ، وأكلكما الخنزير، قالا : من أبو عيسى ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران : ٦٠ – ٦١]؛ فدعاهم إلى المباهلة ، فقال بعضهم: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم نارًا . . فإنّ محمّدًا نبي مرسل ، فقالوا : أما تعرض علينا سوى هذا ؟ فقال: الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فأقروا بالجزية وانصرفوا إلى بلادهم" . ثم فشى الإسلام فيهم، فيذكر أن السيد والعاقب أسلما ، وأن النبي ﷺ بعث إليهم عليًّا ؛ ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم[٥٩].

وكان ﷺ يأمر جنوده فى حروبهم بالإخلاص وترك ما يخالف ذلك من غلول وغدر وثأر وانتقام ، واجتناب الفساد في الأرض وحرق الأشجار وقتل الحيوانات ، وعدم التعرض لغير المقاتلين من النساء والصبيان

(٥٨) صحيح البخارى : ١٧١/٥ ، رقم : ٤٣٨٠ ، باب قصة أهل نجران ، ودلائل النبوة : ٢ / ٤٥٦ ، وأسباب النزول للواحدى : ص ٦١ ، ونصارى نجران بين المجادلة والمباهلة للدكتور أحمد على عجيبة ، ص ١٢ ، تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م : ٢/ ٥٢ ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) – دار إحياء التراث العربي — بيروت : ١٨ / ٢٧

(٥٩) الرحيق المختوم : ٤٤٨ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى : ٧ / ٦٩٦ نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة للدكتور أحمد على عجيبة ، ص ١٢ ، ودلائل النبوة للبيهقى : ٥ / ٣٨٥ ، الموسوعة الفقهية الكويتية : ٢٦/ ٥٨ ، وحديث: " وفد نجران حين لقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم. . . ". أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦ / ٤٦٩ — طبعة دار المعارف – القاهرة) .

والشيوخ ، واحترام مقدسات الآخرين، وعدم قتل الرهبان والقسيسين ، ما لم يقاتلوا أو يعينوا على القتال، وعدم التعرض كذلك لبِيَعِهِم وكنائسهم بسوء(٦٠).

أهم نتائج البحث :

يتضح لنا مما سبق فى هذا البحث عدة نقاط نجملها فى قولنا :

١- أن النبى ﷺ هو نبى الرحمة، للخلق أجمعي، وليس للمسلمين فقط؛ كما قال تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء : ١٠٧.

٢- اهتمام النبى ﷺ وانشغاله بإيمان الناس بالله تعالى وبرسالته وهدايتهم ، لذلك كان يتألم لإصرارهم على الكفر ، كما قال تعالى : ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [سورة فاطر : من ٨]. وقال : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : ١٢٧ ، وسورة النمل : ٧٠].

٣- تعدد أساليب النبى ﷺ فى تعامله مع غير المسلمين من المشركين واليهود والنصارى ، فهو يستخدم الأسلوب الدعوى فى دعوتهم إلى الله ورسوله ودينه، فإذا ما رأى إصرارهم على الكفر استخدم أسلوب الإقناع العقلى والعلمى، ثم الأسلوب الإعجازى، فإذا ما رأى محاربتهم له ولأصحابه استخدم أسلوب الحرب النفسية، فإذا ما حاربوه بالسلاح وقتلوا أصحابه، حاربهم بلا إسراف فى القتل، ولكن بما يضمن له ولأصحابه الغلبة عليهم، وأن يملأ قلوبهم رهبة ورعبًا من المسلمين وقوتهم؛ حتى لا يعتدوا على المسلمين، كما فعل فى غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد ، وغزوة مؤتة ، وغير ذلك .

٤- تعامل النبى ﷺ بحزم ، إذا ما اشتدت عداوة غير المشركين للمسلمين واشتد كيدهم تجاههم، كما فعل مع اليهود فى المدينة، أو فى الجزيرة العربية وخيبر، وكما فعل مع من أهدر دماءهم . ومع ذلك لم يكن يتأخر فى العفو ، إذا جاءه بعض هؤلاء، وقد أعلنوا إيمانهم،كما فعل مع كعب بن زهير وغيره .

٥- اختلاف معاملة النبى ﷺ لغير المسلمين باختلاف المراحل الثلاث، وذلك أنه قبل الهجرة إلى المدينة، كان يحتاج إلى الدعوة إلى الله بالحسنى، وإلى إقناعهم بالمعجزات والعقل بما يدعوهم إليه، أما بعد الهجرة فقد أُمر بالقتال ، لمن خالفه منهم وبخاصة هؤلاء الذين يحاربونه . أما اليهود والنصارى ، فقد دعاهم إلى الله وإلى كلمة سواء بينه وبينهم، لمعرفتهم السابقة بالنبى الذى سوف يبعث إليهم قريبًا، حتى إنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ ولهذا كان ﷺ حازمًا فى معاملته معهم .

(٦٠) وفى معنى ذلك عدة أحاديث فى سنن النسائى الكبرى : ٢٤١/٥ ، رقم : ٨٧٣١ ، والسنن الكبرى للبيهقى : ٩٠/٩ ، رقم : ١٨٦١٨ ، ومصنف عبد الرزاق : ٢٢٠/٥ ، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية : ٣ / ١٠٠

٦- وتتمثل النقطة الأخيرة ، في طرح هذا السؤال : هل يحق بعد هذا العرض المرَكَّز في معاملة النبي ﷺ لغير المسلمين ، أن يُتَّهَمَ دينُ الإسلام ، في شخص نبيه ﷺ ، أو في مبادئه بالإرهاب أو العنصرية ؟ ، بل هل يمكن أن يتقبل أصحاب العقول النيرة والفكر الحر، حتى من غير المسلمين، ما يثار من وقت لآخر، من الألوان المتعددة والأشكال المتنوعة للإساءة إلى النبي ﷺ ؟ . أعتقد أن أدنى وقفة للتأمل في كيفية معاملة النبي ﷺ لغير المسلمين ، إضافة إلى رصد معاملة الصحابة من بعده ، بما امتلأت به كتب التاريخ ، أعتقد أن هذه الوقفة المتأملة ، ستفضي إلى نتيجة تؤكد عظمة الإسلام ، وعظمة نبيه ﷺ ، إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أهم المصادر والمراجع :

١- ابن الأثير : مجد الدين المبارك بن محمد الجزري – جامع الأصول في أحاديث الرسول – تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط– مكتبة الحلواني – ومكتبة دار البيان – الطبعة الأولى: ١٩٦٩م – ١٩٧٢م.

٢- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأعظم ، المطبعة الشرفية ، بدون بيانات .

٣- ابن إسحاق : السيرة النبوية ، بدون بيانات .

٤- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع : الطبقات الكبرى – تحقيق : إحسان عباس – دار صادر — بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

٥- ابن سيد الناس محمد بن عبد الله : عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير — تحقيق : محمد العيد الخطراوى ، مكتبة دار التارث ، المدينة المنورة ، ودار ابن كثير بدمشق ، بدون تاريخ .

٦- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) – عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير – تعليق: إبراهيم محمد رمضان – دار القلم — بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

٧- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدي خير العباد – مؤسسة الرسالة ، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت – الطبعة السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ =١٩٩٤م .

٨- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تفسير القرآن العظيم – المحقق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

٩- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي: البداية والنهاية – تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركى – دار هجر– بدون تاريخ .

١٠- ابن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – السيرة النبوية – تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ، وتحقيق : طه عبد الرءوف سعد – دار الجيل – بيروت – ١٤١١هـ.

١١- أبو شهبة (محمد محمد أبو شهبة): السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة، دار القلم ، دمشق .

١٢- أحمد عجاج كرمى – الإدارة في عصر الرسول ﷺ – دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

١٣- أحمد على عجيبة : نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م.

١٤- بدر الدين العينى أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (المتوفى: ٨٥٥هـ) – عمدة القاري شرح صحيح البخاري – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٥- بريك بن محمد بريك : السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة: تحقيق : أكرم ضياء العمري – دار ابن الجوزي – الطبعة الأولى – جمادى الأول – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

١٦- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) – معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي – المحقق : عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

١٧- البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: ٤٥٨هـ) – دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ .

١٨- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – المحقق: محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

١٩- جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ) – تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد – دار ابن خزيمة – الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ .

٢٠- جمعة علي الخولي: معاملة الرسول ﷺ لبني قريظة، والرد على ما يثار حولها من شبهات، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٧ .

٢١- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - دار الكتاب العربي — بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

٢٢- سعيد بن علي: الجهاد في سبيل الله فضله، ومراتبه، وأسباب النصر على الأعداء ، بدون بيانات.

٢٣- سعيد حوى : الأساس في السنّة وفقهها السيرة النبوية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٥م .

٢٤- السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية : تحقيق : عمر عبد السلام السلامي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٥- سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ) - فقه السنة - دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان - الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٢٦- سيد قطب : فى ظلال القرآن الكريم — دار الشروق — القاهرة — الطبعة ٣٢ — ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

٢٧- الصالحى محمد بن يوسف: سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.. — تحقيق : مصطفى عبد الواحد — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — القاهرة ، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧م .

٢٨- صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) - الرحيق المختوم - دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) - الطبعة الأولى .

٢٩- الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ) - تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٣٠- عبد الكريم أمين محمد سليمان - التصوير البياني في آيات القتال — دراسة فنية ، جامعة شرناق — كلية الإلهيات - العدد ١١ — السنة ٢٤ — سنة ٢٠٢٠ م .

٣١- علي عيسى عبد الرحمن أساليب الحرب النفسية فى الإسلام وخصائصها ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية (السُّودان). العدد ١٤ ، سنة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م .

٣٢- عياض اليحصبي القاضي - الشفا بتعريف حقوق المصطفى — دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان — بدون تاريخ.

٣٣- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ) - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام - المحقق: د. أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي — القاهرة .

٣٤- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٩٥٢م.

٣٥- الكاساني علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - دار الكتب العلمية — الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٦- مأمون حموش- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر- المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش - الناشر: (المؤلف) - الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

٣٧- مبارك إبراهيم التّجاني : وقفات مع فتح مكة من خلال السيرة النبوية : مجلة جامعة القرآن الكريم ، السودان ، العدد ١٦ - ٢٠٠٨م .

٣٨- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) - التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - الدار التونسية للنشر — تونس - سنة ١٩٨٤ هـ.

٣٩- محمد الغزالي (المتوفى: ١٤١٦هـ) - فقه السيرة — دار القلم — دمشق - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .

٤٠- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - المحقق: محمد أحمد الحاج - دار القلم- دار الشامية، جدة — السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٤١- محمد بن عفيفي الخضري : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - تحقيق : هيثم هلال - دار المعرفة بيروت- لبنان - الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م .

٤٢- محمد حسين هيكل ، حياة محمد دار المعارف ، القاهرة .

٤٣- محمد صادق عرجون: محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٤٤- محمد مسعد ياقوت : الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية ، بدون بيانات .

٤٥- منير محمد الغضبان - التحالف السياسي في الإسلام - مكتبة المنار الأردن — الزرقاء - الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٤٦- الموسوعة الفقهية الكويتية : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت .

٤٧- وهبة بن مصطفى الزحيلي - التفسير الوسيط - دار الفكر — دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ .